الذكرى 708 لميلاد أمير الرحالة المسلمين ابن بطوطة المؤرخ والقاضي والفقيه المغربي

يوسف مراد – موسكو

احتفل عالم الثقافة والسياحة على الصعيد العالمي في 24 فبراير من2012 بالذكرى 708 لميلاد الرحالة الإسلامي المغربي الأصل ابن بطوطة (703هـ/ 1304م). وقد قال في حقه المؤرخ المغربي عبد الهادي التازي:

"لم يكن في الدنيا غير ابن بطوطة بأنه رحالة المسلمين وغير المسلمين، يستحق النعت من لدن المؤرخين القدامى ولم تكن رحلة في الدنيا غير رحلة ابن

بطوطة تستحق النعت من لدن المؤرخين المعاصرين بأنها أعظم رحلة في تاريخ البشرية جمعاء. وإنه لمن السهل وبكل سهولة أن تقنعنا هاتين المقولتين، ويكفي لذلك أن نقف عند المعلومات التي تضمنتها الرحلة من مختلف المعلومات التاريخية، والجغرافية، والاجتماعية ، والسياسية، والأدبية، والديبلوماسية، والاقتصادية، و الفقهية.....". إنه أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن يوسف اللواتي الطنجي، المعروف بابن بطوطة الذي له ارتباط وثيق بمدينة طنجة في شمال المملكة المغربية، حيث ولد وترعرع ونشأ ودرس وشغل منصب قاضي القضاة بالمدينة قبل رحلته الشهيرة.

جانب من رحلة ابن بطوطة لمصر

الرحالة ابن بطوطة

وينسب إلى إحدى القبائل الأمازيغية (قبيلة لواتة)، وقد استحق لقب أمير الرحالة المسلمين، برحلته الشهيرة حيث قرر سنة 1325هـ وسنه لا يتجاوز 21 عاما أن يتجه إلى الديار المقدسة وفي نيته تأدية فريضة الحج ثم إتمام الرحلة بعد الحج لنهل المزيد من علوم والشريعة الإسلامية عبر تجواله في مناطق البلدان الإسلامية، وبدأ تلك الرحلة سنة من طنجة سنة 725 ليطوف و يسيح في كل من بلده الأصلي المغرب، ومصر والسودان والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن وعمان والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند والصين الجاوة وبلاد التتار وأواسط إفريقيا. وفي رحلته هذه حظي بمقابلة الكثير من الملوك والأمراء، و حيث استعان بدعمهم المعنوي والمادي وتلقى

عدة هبات ساعدته لإتمام رحلته ودراسته . وبعد الرحلة الكبرى لم يكتب له أن يرجع لمسقط رأسه بمدينة طنجة و توجه إلى مدينة مراكش حيث عاش بها أيامه الأخيرة وأدخله الملك السلطان المغربي أبو عنان المريني عضوا في الأكاديمية التي أنشأها. وكانت وفاته بمراكش سنة 779 هـ/1377 م، حيث يوجد ضريحه بالمدينة القديمة.

عرض وأطول رحلة في العالم

إن رحلة ابن بطوطة استغرقت أعرض وأطول زمن عن غيرها (27 سنة) ، وتأكد لكل الباحثين في الرحلة صدق الحقائق التي حكاها عن رحلته بالحجة والبرهان، أضف إلى ذلك أن الرحلة كانت الوحيدة في التاريخ التي ناهز عدد الأسماء الجغرافية التي وردت في تدوينها ألف اسم بالتمام والكمال، وألف من أسماء الأعلام والشخصيات. إذا

علمنا بهذه الحقائق والخصوصيات السالفة الذكر التي تتسم بها رحلة ابن بطوطة فلن نستغرب إذن إذا لقبته جامعة كامبريدج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالة المسلمين الوطنيين بامتياز.

الغريب في أمر ابن بطوطة أنه كان عمليا أكثر مما كان نظريا حيث انه لم يخلف أي وراءه أي إنتاج أدبي سوى كتابه (رحلة ابن بطوطة) المشهور بـ: (تحفة النظار في عجائب الأمصار وعجائب الأسفار بعد أن طلب منه بناء السلطان المغربي أبو عنان فارس المريني الذي أعجب برحلاته وقصصه المشوقة، أن يمليها على كاتبه محمد بن جزى الكلبي. و ترجم ونشر الكتاب إلى اللغات البرتغالية والفرنسية والإنجليزية والألمانية، وترجمت فصول منها إلى الألمانية نشرت أيضا.

ويسعد مجلة السياحة الإسلامية أن تقتطف مقطعا مما كتبه ابن بطوطة بنفسه عن رحلته ومغامراته، حتى يكتشف القارئ الكريم الأسلوب الذي كان يدون به الأحداث و المواقع. وفي هذا الصدد يقول ابن بطوطة: " خرجت من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس 2 رجب 725 هـ / 1324 م معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، منفردا عن رفيق آنس بصحبته، وركب أكون في جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة.. فجزمت نفسي على هجر الأحباب من الإناث والذكور، وفارقت وطني مفارقة الطيور للوكور، وكان والداي بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصبا، ولقيت كما لقيا نصبا" . كان هذا مقطعا مما دونه حول رحلته الأولى التي طافت به عبر الجزائر وتونس ومصر والسودان وفلسطين وسوريا ومنها إلى مكة المكرمة حيث أدى فريضة الحج.